جورجياس
لأفلاطون
للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١ —

« تنزل « جورجياس » من آثار أفلاطون منزلة الشرف لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة »

M. Renouvier

« إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائماً وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس — أفلاطون »

نبدأ اليوم فنقدم لقراء الرسالة الغراء ترجمة « محاورة جورجياس لافلاطون » وهي من أجل وأكمل محاورات الفيلسوف الخالدة إن لم تكن أجلها وأكملها جميعاً كما يقول الأستاذ « رينوفييه » ؛ ولقد شئنا أن نختار هذه المحاورة على وجه خاص لأننا وجدنا فيها الكثير الجم من تلك المبادئ الخالدة التي هي جديرة تماماً بإنقاذ العالم من بحر المادية الصاخب الذي يغرق فيه اليوم ، ومن تلك الفوضى الاجتماعية والسياسية والفكرية التي يعاني منها أشد العناء وينتحر على مذبحها انتحاراً أليماً !! ولما كان الكثير من القراء لا يعرف شيئاً عن هذه المحاورة فقد قصرنا هذا المقال على التعريف بها

مقدمة

ولد أفلاطون حوالى عام ٤٢٧ ق . م في أسرة أرستقراطية عريقة . وشغف أثناء حداثته بالشعر ، ثم مالبث أن تركه بعد أن عرف أستاذه سقراط وأعجب به وبحواره المذب الطريف ؛ وقد شهد في عصره عهد فوضى الحكومات الأرستقراطية والديمقراطية ، كما رأى الكثير من أحوال أولئك السفسطائيين الذين كانوا ينادون بأن الفرد مقياس كل شيء ! وبأن الحواس أساس المعرفة ! وبأن حقائق الأشياء لا يمكن أن تعرف معرفة يقينية ! بل والذين كانوا يعلمون أبناء الأثرياء الفصاحة والبيان ليجعلوا منهم خطباء قادرين على إقناع الناس واستهوائهم آنا بالباطل وآنا بالحق ، كيما يفوزوا بمناصب الدولة ويبعد الصيت وكيما يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم ويبرروا سلوكهم إزاء هجمات الخصوم والمنافسين ، وأمام القضاة والجماهير !

شهد أفلاطون ذلك كله ، وسمع بأذنيه قول القائلين بأن القوة حق ! ، ورأى بعينيه كيف زج « الشعب » بأستاذه العظيم سقراط في السجن وكيف راح يستمع إلى تمويه « أصحاب الدعوى » ويصم أذنيه عن صرخة الحق التي كان يجلجل بها صوت ذلك الأستاذ المظلوم ! . فكان لنا منه تلك المحاورات الكثيرة التي جعل بطلها سقراط ، والتي تناول فيها أولئك السفسطائيين بالسخرية والتصوير ، والتي دعا فيها إلى تلك المبادئ التي كانت ولم تزل ولن تزال نوراً تهتدي الإنسانية بضوئه الساطع في مجال العلم والفن ، والسياسة والاجتماع ، والآداب والأخلاق على السواء[1]

* * *

أما « جورجياس » فكان من أئمة السفسطائيين ومن أشهر خطبائهم ومعلميهم . ولد سنة ٤٨٥ ق . م . وزار أثينا حوالى سنة ٤٢٤ ق . م . وكان يدعي أن في استطاعته أن يجيب على كل سؤال ! ، وكان يقول إنه ليس من الضروري أن تعلم شيئاً عن الموضوع لتجيب على الأسئلة التي توجه إليك بشأنه ! ؛ ولقد حاول بعد هذا أن يثبت في كتابه « اللاوجود » أنه لا يوجد شيء ! ، وإذا وجد فلا سبيل إلى معرفته ! ، وإذا أمكن أن يعرف فلا سبيل إلى إيصاله للغير ! ![2]

لذلك نرى أفلاطون يكتب عنه محاورة خاصة هي المحاورة التي نبدأ بتقديمها اليوم للقراء الأعزاء . وقد نقلت هذه المحاورة إلى جميع اللغات الهامة كسائر محاورات أفلاطون . والترجمة التي سنعتمد عليها هنا هي الترجمة الفرنسية للدكتور « بول لير

(١) ويلاحظ أن فلسفة أفلاطون تمثل العقل الفلسفي وهو في دور التكوين (ولاسيما محاورات الشباب) بعكس فلسفة أرسطو التي تعطينا مبادئها ونتائجها على نحو ناضج تمام النضوج . ولذلك كانت قراءة أفلاطون بدقة مما يساعد كثيراً على تنمية روح الفلسفة والنقد لدى المختصين وغير المختصين على السواء

(٢) إذا شاء القارئ أن يزداد فهماً لعصر السفسطائيين فليرجع إلى كتب تاريخ الفلسفة المختلفة كـكتاب تاريخ الفلسفة اليونانية للأستاذ يوسف كرم وكتاب قصة الفلسفة اليونانية للأستاذين أحمد أمين وزكي نجيب محمود

Paul Lemaire » أستاذ الفلسفة المعروف . ولكنا نرجو على أية حال أن تصلنا قريباً ترجمة أخرى من باريس كيما نقارن الترجمتين ونخرج منهما بالنص المضبوط

وقد جاء في مقدمة هذه الترجمة للأستاذ « بول » ما يلي :

موضوع المحاورة

« يصعب جداً تحديد الوقت الذي تحدث فيه سقراط مع السفسطائي ، وربما كان ذلك أثناء زيارة جورجياس لأثينا . وتعتبر هذه المحاورة من المحاورات التي ألفها أفلاطون في شبابه . وهي تبدأ بوصول كل من سقراط وشيرون متأخراً ، وكانا يريدان سماع محاضرة لجورجياس

ومن ثم يريد سقراط أن يعرف من المحاضر مفتاح فنه وطبيعة تعاليمه ، فيطلب منه المناقشة . أما موضوع المحاورة فهو فن البيان ويريد أفلاطون أنه فن إقناع الناس بالحق والعدل لا بالباطل والظلم ، كما يرى أن وسائله في الاقناع كثيرة ، إذ أنه إما أن يضع الظواهر مكان الحقائق ويشير إلى الحواس والخيال والشهوات ثم العقل ، وإما أن يشير إلى العقل ولكن بالمنطق السفسطائي الزائف كيما يخدعه . وبهذا يقتنع الشعب الوادع الجاهل ، المخدوع دائماً بأولئك « الاستغلاليين » الذين يتملقونه ! ؛ والبيان بهاتين الوسيلتين دنيء حقير لا يعدو فن « الطبخ » في كثير ! ولا يخرج عن أن يكون خطاباً زائفاً منصباً على اللذائذ والشهوات فحسب ؛ أما البيان الرفيع الصحيح فهو الذي يعنى فقط بنصرة الحق والعدل ؛ وتلك هي الناحية الايجابية في المحاورة ، ذلك أن الخطيب الحق عند أفلاطون ، هو ذلك الصادق العادل الذي يستعين بالفلسفة في دراسة العدالة ونشرها ، والذي يدعو لأن نكون أخياراً في السر والعلن ، ولأن نكون عادلين دون أن نطمع في الجزاء !

«ولم يكن أشجع بعد هذا ولا أجرأ من أن يعلن أفلاطون في وقت اختفت فيه فكرة الواجب وانتهكت حرمة النظم والقوانين بالبلاد اليونانية ، أن الأخلاق الفاضلة تحيا دائماً وتسود لأنها أقوى وأقدر من جميع المادميين ! ، بل لم يكن أعظم ولا أجل من أن تشيع هذه اللهجة السامية في جمهور متكبر إعتاد السياسيون أن يتملقوه ، وامتلأ إعاناً « بحقه الأعلى » في شئون الدولة الصغيرة والكبيرة بغير استثناء ! »

تحليل المحاورة :

أما الأستاذ « رينوفيير Renouvier » فقد حلل المحاورة تحليلا بديعاً في كتابه « Manuel, de, Philosophie » ولذلك قد آثرنا أن نقدم هذا التحليل للقراء كيما نمدهم للترجمة أتم إعداد :

يقول « الظلم أفدح الشرور ، وارتكابه أفدح من احتماله ! وذلك هو الموضوع الذي يدعمه سقراط ويدافع عنه أمام ثلاثة من السفسطائيين ! ، أحدهم جورجياس أستاذ البيان ، وكان يدعي أنه يعلم الناس العدالة وأنه يعرفها حق المعرفة ، ولكنه كان يقول إن البيان يعلمنا كيف نقنع الناس بالعدل والظلم ، وكيف ندهشهم ونذهلهم ونضللهم ونحكمهم ! ؛ ولذلك يريه سقراط أنه يجهل العدل. فيتقدم إليه متحدث آخر بحماس ، ويقول له إنه يعترف بأنه لا يعلم الناس العدالة وإنما يعلمهم فن القوة والسعادة ، وإنه يعتبر ظالماً جباراً « كأرشليوس » (الذي قتل أخاه وعمه وابن عمه ليصل إلى العرش) — أسعد الناس ... فما يلبث سقراط أن يقرر أن الظلم شر ، وأن العقاب بسببه خير ، وأن أسوأ النفوس وأشقاها هي تلك التي تكون غارقة في بحر الظلم وتأبى مع ذلك أن ينقذها منقذ يبعدها عن العقاب ! ، وهنا يشك السفسطائي الثالث في أن سقراط يعني حقاً ما يقول و ... ، ثم يعلن أن الأفضل لنا هو أن نكون ذلك «المرقل» الذي تصبح إرادته قانوناً ! ، وأن الضعفاء هم الذين يسنون القوانين ويسمونها عدلا ! ... ، وأن العدل في الطبيعة هو حق « الأقوى والأحسن » فيسائله سقراط : إذا كان الأمر كذلك فهل تصبح إرادة « الجماعة » عدلا ما دامت هي الأقوى ؟ »

وهكذا يأخذ سقراط في إحراج المتحدثين الثلاثة وفي تضييق الخناق عليهم حتى يفسد عليهم حججهم ، ويعلن « أننا نستطيع أن نستمد من العقل كل ما هو مشروع بالنسبة للجماعة والفرد ، وأن الشخص العفيف يكون عادلاً وطيباً وشجاعاً ، وأن غير العفيف يكون شقياً لا صديق له من الله والناس ، لأنه خارج عن نطاق ذلك الكون الذي قد ربط الحب بين أرضه وسمائه وآلهته وأناسه بصلات وثيقة اقتضاها نظامه العام ؛ فالظلم إذن أفدح الشرور لمن يرتكبه ، ولن يكون سقراط العادل شقياً في يوم من الأيام ، لن يُسرق أو يجلد أو يباع بيع الرقيق ، ولكن